

الشرط في قبول العمل :

الإخلاص

كيف يتحقق في المسلم؟

حقوق الطبع ميسرة لكل مسلم

أحمد عبد الغفار

الشرط في قبول العمل :

الإخلاص

كيف يتحقق في المسلم؟

أحمد عبد الغفار

حقوق الطبع ميسرة لكل مسلم

حقوق الطبع ميسرة لكل مسلم

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٢٠٠٧/٤٢٦٠	رقم الإيداع
-----------	-------------

يطلب من :

مكتبة قرطبة - الهرم ت : ٧٧٩٥٠٢٧

الأزهر ت : ٥٨٨٣١١٧

دار الأساس - شبرا ت : ٨٢٥٧٠٨٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

إن إخلاص النية والعمل لله مطلب أساسي وضروري في عقيدة المسلم قد أكد الإسلام عليه قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (٢٤) ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١).

وفى الحديث الإلهي الصحيح يقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه» (٢).

والإخلاص فضيلة عظيمة تخلص العمل من شوائب النفس وتزكيه فيرقى العمل إلى درجة القبول.

١ - سورة الزمر: (١٤-١٥).

٢ - مسلم (٢٩٨٥) وأخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢) وأحمد (٣٠١٢) ولفظ ابن ماجه: «فأنا برىء منه وهو للذي أشرك».

قيل لسهيل : ما أشد شئ على النفس؟ فقال : الإخلاص،
إذ ليس لها نصيب فيه^(١) .

والإخلاص أغلى القيم التي يلهمها الله لمن يشاء من عباده ، فى الأثر الإلهي يقول الله تعالى : «الإخلاص سر من أسرارى استودعته قلب من أحببته من عبادى»^(٢) .

وهذا الكتيب يبين حقيقة الإخلاص ، ويعرض مجموعة من الوسائل والأسباب التي يجتهد كل مسلم فى الأخذ بها حتى ينمو ويتحقق فيه الإخلاص بمشيئة الله ويبين الكتيب حكم الأعمال التي قد يخالطها شئ من الرياء أو التطلع إلى أخذ الأجر من العباد ، كما يبين الكتيب الأثر الطيب للإخلاص وفضله لعباد الله المخلصين فى الدنيا والآخرة .

أسأل الله لى ولكم الهداية والعون والتوفيق والقبول ...
إنه - جل وعلا - سميع قريب وعلى الإجابة قدير
والحمد لله رب العالمين .

١ - إحياء علوم الدين (٤/٤٣٢) .

٢ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/١٥٢) .

حقيقة الإخلاص

الإخلاص في اللغة : من أخلص العمل أى أصفاه ونقاه من شوبه (١) .

والإخلاص في الشرع : إفراد الحق - جل وعلا - بالقصد في الطاعات (٢) .

قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿ (٣) .

وقال بعض الصالحين : الإخلاص هو أن لا تطلب لعملك شاهداً غير الله ولا مجازياً سواه (٤) .

وقيل الإخلاص : نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق (٥) .

وقيل هو : الخالص من الأعمال الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله (٦) .

١ - المعجم الوجيز (٢٠٧) .

٢ - مدارج السالكين (٧٦/٢) .

٣ - سورة الزمر (٢-٣) .

٤ - مدارج السالكين (٧٥/٢) .

٥ - المرجع السابق .

٦ - مدارج السالكين (٧٧/٢) .

العبادة الصحيحة والإخلاص لله

فيها : الشرطان لقبول العمل

الله - جل وعلا - عليم بحقيقة القلوب يهدي من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (١) .

والله - جل وعلا - هو الموفق إلى العمل المقبول . قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢) . قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : هو أخلصه وأصوبه . فقالوا : وما أخلصه وما أصوبه ؟ قال : الخالص أن يكون لوجه الله ، والصواب أن يكون على سنة رسول الله ﷺ (٣) ، ثم قرأ قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٤) .

اللهم إنا نسألك الهداية والإخلاص والتوفيق والقبول .

١ - سورة الأنعام (١٢٥) .

٢ - سورة الملك (٢) .

٣ - مدارج السالكين (٧٥/٢) .

٤ - سورة الكهف (١١٠) .

كيف يتحقق الإخلاص في المسلم؟

العلم والعمل ومجاهدة النفس والصبر وسائل وأسباب
ضرورية يتحقق بها الإخلاص في المسلم بفضل الله وعونه
، ونحن إذ نجتهد في الأخذ بهذه الأسباب فإن غاية ما
نرجوه أن نفارق الحياة الدنيا على الإخلاص لله ، فنلقى رب
العالمين بقلوب مخلصة وأعمال مقبولة.

١ - الاستعانة بالله

إن أول وأهم وسيلة نأخذ بها ليتحقق فينا الإخلاص أن
نستعين بالله، فنسأله - جل وعلا - أن يطهر قلوبنا من
النفاق وعملنا من الرياء وأن يرزقنا الإخلاص في كل قول
وعمل ، ولقد أمرنا الله - جل وعلا - بالدعاء ووعدنا بالإجابة
قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (١) .

ويستحب أن يدعو المسلم بالمأثور الذي ورد عن النبي
ﷺ ، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال أبو بكر وشهد به

على رسول الله ﷺ : الشرك ، قال : هو فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شئ إذا فعلتموه أذهب عنكم صغار الشرك وكباره تقول : «اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ثلاث مرات»^(١) .

٢ - أداء الأعمال

الإخلاص لا يكون حقيقة إلا إذا صدّقه العمل ، قال الإمام الغزالي : ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص معاً^(٢) .

وعلى المسلم أن يؤدي الأعمال التي شرعها الله تعالى وهي تشمل (الفرائض والواجبات والنوافل والالتزام السلوكي)^(٣) .

١ - الجامع لأحكام القرآن ، وقال القرطبي وأخرجه الإمام أحمد بلفظ قريب (٤٠٣/٤) ولفظ الإمام أحمد : «اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه» (١٩١٠٩) .

٢ - إحياء علوم الدين (٤٥٧/٤) .

٣ - (الفرائض) كالصلاة والزكاة والصوم ، والحج (الواجبات) كبر الوالدين ، ورعاية الأهل ، وصلة الرحم ، والدعوة إلى الله وغير ذلك (النوافل) كصلاة وصيام التطوع ، وكذكر الله والصدقة (السلوك) كالتواضع والعدل وعفة اللسان وغيرها من الأخلاق الفاضلة التي دعا الإسلام إليها .

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (١).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : وفى هذا دليل على وجوب النية فى العبادات ؛ فإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذى يراد به وجه الله تعالى لا غيره (٢) .

٣ - استحضر النية قبل الإقدام

على العمل

النية : قصد القلب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (٣) .

والنية محل نظر الناقد البصير - جل وعلا - ، عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم» (٤) .

١ - سورة البينة. (٥)

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٤٣) .

٣ - البخارى (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .

٤ - مسلم (٣٣) .

ولقد كان سلفنا الصالح يحرصون على تعلم النية للعمل حتى يكون عملهم مقبولاً، قال سفيان : كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل^(١) .

وقال بعض الصالحين : « اطلب النية للعمل قبل أن تطلب العمل وما دمت تتوى خيراً فأنت بخير »^(٢) .

وقيل لبعضهم : ألا تشهد الجنازة ؟ قال كما أنت حتى أنوى ، قال : ففكر هنيهة^(٣) . ثم قال : امض^(٤) .

- ١ - إحياء علوم الدين (٤/٤٣٣) .
- ٢ - إحياء علوم الدين (٢/٤٣٣) .
- ٣ - هنيهة : لحظة أو قليلاً من الوقت ليستحضر نيته ويجرد عمله خالصاً لله وحده .
- ٤ - جامع العلوم والحكم . (١٧) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليه ويفرغ من دفنه فإنه يرجع من الأجر بقيراطين القيراط مثل جبل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط » (البخارى : ٤٧) ، وفي رواية أخرى « كتب له قيراطان من أجر أخفهما في ميزانه يوم القيامة أثقل من جبل أحد » . من حديث واثلة عن ابن عدى (فتح البارى : (٣/٢٣٦)) قال العلماء : قوله ﷺ « إيماناً واحتساباً » أى إيماناً بالله وتصديقاً بوعده واحتساباً لثوابه ، وليس قصدك المجاملة لأهل الميت ، لأن المجاملة ثوابها عاجل في الدنيا فقط ، وقد يؤجر الإنسان على مجاملة إخوانه لكن الأجر الذى هو قيراطان هو لمن تبعها إيماناً واحتساباً بالله وثقة . (شرح رياض الصالحين لابن العثيمين (٣/٢٣١) .

فينبغي على المسلم قبل أن يقبل على العمل أن يبحث في نيته عن الباعث الذي يدفعه إلى العمل؟! فإن وجد أنه لله يقدم على أدائه ، وإن وجد أنه لغير الله فليتدبر! ... هل أتقرب بعملى إلى الخلق ، بالبعد عن الخالق ؟ ... هل أطلب بعملى رضا العباد ، وأعرض لسخط رب العباد ؟

... هل أترك الحسنة المقبولة بالإخلاص والتي يذهب الله بها السيئة ، لأكتسب سيئة بمراءاة الناس بعملى ؟ ... هل أستبدل حمد الله لعملى بحمد المخلوقين ؟ ... هل أطلب الأجر ممن لا يملكون ، وأفرط فى أجرى عند من يملك كل شئ ؟

... هل أشتري بعملى عرضاً قليلاً من الدنيا فانياً عن قريب، وأفرط فى عظيم ثوابي فى الآخرة وهى - خير وأبقى . ولقد بين الإسلام أن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه :

قال تعالى : ﴿ فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بَصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

وعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال : «إذا كان يوم القيامة
جىء بالدنيا فميز ما كان لله وما كان لغير الله رُمى به فى
نار جهنم» (٢) .

٤ - تفقد النية خلال أداء العمل

ينبغي على المسلم أن يتفقد نيته خلال أدائه العمل ، فإذا
طراً على نيته ما يفسد إخلاصه للعمل ، كالرياء أو الرغبة فى
المكافأة من العباد ، فإنه يدفع ذلك الخاطر ولا يسترسل معه ،
ويجدد نيته ، روى عن سليمان الهاشمى أنه قال : ربما أحدث
بحديث ولى فيه نية ، فإذا أتيت على بعضه تغيرت نيتى فإن
الحديث الواحد يحتاج إلى نيات (٣) .

١ - سورة النساء (١١٤) .

٢ - البيهقى فى شعب الإيمان (٦٨٤٩) (باب : إخلاص العمل لله) ورواه عماره رضي الله عنه بلفظ
آخر (٦٨٤٨) .

٣ - جامع العلوم والحكم (٢٤) .

٥ - الحرص على أداء كل عمل الباعث إليه نية صالحة وإن كان عملاً صغيراً

لا ينبغي أن يفرض المسلم في أداء أى عمل يجد الباعث إليه إرادة وجه الله ولو كان ذلك العمل صغيراً ، ففى الصحيح عن أبى ذر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق » ^(١) .

وإن ما كان لله فقليله كثير ، وما كان لغير الله فكثيره قليل .

وقال بعض الصالحين : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية ^(٢) .

وفى الصحيح عن أبى ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له » ^(٣) .

١ - مسلم (٢٦٢٦) .

٢ - إحياء علوم الدين (٤/٤٣٣) .

٣ - مسلم (١٢٨) .

٦ - عدم قدرة المسلم على عمل الخير لا يهدر ثوابه على نيته الصالحة

قد لا يستطيع المسلم أن يحقق رغبته في أداء العمل الصالح لقلة ماله أو لضعف قوته أو حيلته ، ولكن الله المطلع على الأفئدة لا يهدر يقين عبده الراسخ وحرصه على عمل الخير. قال الإمام محمود خطاب السبكي : كل مسلم اعتاد طاعة فمنعه منها أى مانع قهرى لولاه لأداها فله ثوابها كاملاً^(١) . لحديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»^(٢) .

كما بين النبي ﷺ أن من أتاه الله مالاً فجعل ينفقه في سبيل الخير، وكان رجل فقير يقول لو أن لي مال فلان لعملت فيه عمل فلان، فقال ﷺ : «فهو بنيته فهما في الأجر سواء»^(٣)

١ - الدين الخالص (٣/ ١٢٠) .

٢ - البخاري (٢٩٩٦) .

٣ - الترمذي وقال حديث حسن صحيح (٢٣٢٥) وابن ماجه بإسناد جيد (٤٢٢٨) من حديث أبى كبشة الأنماري .

٧ - إتقان العمل طاعة لله

وابتغاءاً لمرضاته

إتقان العمل : إحكامه ، قال تعالى : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

وإتقان المسلم عمله أى إجادته وأداؤه بصدق وبأمانة .
قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

والعمل يكون : عبادة بدنية كالصلاة والصوم والحج فيؤديها المسلم مخلصاً لله، وملتزمأً بآدابها الشرعية المنصوص عليها فى الكتاب والسنة .

والعمل يكون : صنعة أو مهنة أو تجارة فيتقنها المسلم طاعة لله الذى أوجب على المسلم صيانة حقوق العباد .

وعلى المسلم أن ينتبه لقصده من إتقانه العمل، فينبغى أن تكون نيته متجهة إلى مرضاة الله، لا للرياء أو ليشتهر بإتقان العمل ليقبل الناس على صنعته أو تجارته ليكثر كسبه المادى، فإن من أتقن عمله لله، رزقه الله ثواب الدنيا وثواب الآخرة معاً .

١ - سورة النمل (٨٨) .

٢ - سورة التوبة (١٠٥) .

٨ - عدم التطلع إلى أخذ الجزء من العباد

يبين الحق - جل وعلا - حال عباده المخلصين وباعثهم إلى العمل إذ يقول : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ١٠﴾ (١) .
فهم يوفون بعهدهم بالإخلاص لله في كل قول وعمل .
وهم أصحاب مبدأ ثابت فهم يؤدون العمل ابتغاء وجه الله سواء كان هذا العمل إطعام الطعام كما تبين الآية ، أو كان العمل صدقة أو شفاعة حسنة أو دعوة إلى الله أو قضاء مصلحة لضعيف ذي حاجة أو غير ذلك .

وإن باعثهم إلى العمل تقوى الله وخوفهم من عقابه وعذابه ورجاؤهم في مغفرته وعفوه . ثم تبين الآيات كيف يستجيب الله دعاء عباده المخلصين كما تبين تمام فضله - جل وعلا - لهم . قال تعالى : ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢﴾ (٢) .

ملحوظة : حكم العمل إذا

خالطه شيء من الرياء

قال الإمام الغزالي في حكم العمل المشوب :

• إذا أراد الإنسان بالعمل الرياء التام فلا ثواب له بل إنه يستحق العقوبة والمقت من الله .

• إذا كان العمل مشوباً، فإن كان الباعث الديني مساوياً للباعث النفسي صار العمل لا له ولا عليه .

• إذا كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع، وهو مع ذلك مضر ومفـض للعقاب، ولكن العقاب يكون أخف من عقاب العمل الذي فيه المراعاة تامة .

• إذا كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني^(١)، وهذا لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾^(٢) .

وقد يتطلع المسلم إلى أخذ الأجر من العباد فيكون ثوابه عند الله على قدر ما أخلص لله في هذا العمل .

١ - إحياء علوم الدين (بتصرف) (٤/٤٥٥) ولقد استفاض الإمام الغزالي في شرح هذا الحكم واستدل بالعديد من النصوص من الكتاب والسنة، فمن أراد المزيد من الاطلاع فليُنظر في المرجع المذكور .

٢ - سورة النساء : (٤٠) .

ملحوظة : المسلم إذا عمل عملاً لله قد يأخذ عليه ثواباً من الله في الدنيا والآخرة

الأصل في كل عبادة أو طاعة وواجب يؤديه المسلم أن يكون خالصاً لله وحده، لا يتطلع المسلم إلى مقابل على العمل... لأننا جميعاً عبيد وملك لله، والعبيد لا يأخذون مقابلاً على خدمتهم مولاهم - جل وعلا - بل يطيعونه ويعبدونه بمقتضى العبودية فحسب .

بهذه النية ينبغي أن يقدم المسلم على العمل وأن يثبت على هذه النية الصالحة الصادقة .

... وإذا امتن الله على عبده بشكر أو ثواب في الدنيا بواسطة أحد من خلقه، أو إذا أعطى الله للمسلم الثواب في الآخرة فإن ذلك تفضل من الله وإكرام .

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه فقال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » ^(١) .

١ - مسلم (٢٦٤٢) قال النووي : هذا إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم . (صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٨٢) .

والمسلم لا يحزن إذا لم يجد شكراً أو جزاءً من الناس لأن أصل نيته كانت تتجه بالعمل لله، وإن حسب المسلم دائماً قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (١) .

٩ - الإكثار من أداء العبادات والطاعات في السر

أداء العبادات في السر من الوسائل التي تنمي الإخلاص حيث يستشعر قلب المسلم علم الله بطاعته، كما يتخلص المسلم بذلك من نوازع نفسه التي تريد أن ترائي بالعمل، كما أن أداء العبادة في السر أرجى للقبول .

قال بعض السلف : « أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم اجتهد في إسقاطه عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر » (٢) .

١ - سورة الإسراء (١٩) .

٢ - مدارج السالكين (٧٧/٢) .

وحكى عن بعض الصالحين أنه قال : « قضيت ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول ، لأنى تأخرت يوماً لعذر فصليت في الصف الثانى فاعترتنى خجلة من الناس ، فعرفت أن نظر الناس إلى فى الصف الأول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر» (١) .

قال الإمام الغزالى : وهذا أمر دقيق قلما تسلم الأعمال من أمثاله ، وقل من ينتبه إليه إلا من وفقه الله (٢) .

والإكثار من أداء العبادات فى السر يدل على صلاح السريرة ، قال سلمان الفارسى رضي الله عنه : «إذا أسأت سيئة فى سريرة فأحسن حسنة فى سريرة وإذا أسأت سيئة فى علانية فأحسن حسنة فى علانية حتى تكون هذه بهذه» (٣) .

ويبين الإسلام الثواب العظيم فى أداء الطاعات سراً حتى وإن كانت تلك العبادة تفكر فى الله وبكاءً من خشيته فقد بين النبى ﷺ أن من الذين يظلمهم الله يوم القيامة قال : «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (٤) .

١ - إحياء علوم الدين (٤/٤٥١) .

٢ - المرجع السابق

٣ - إحياء علوم الدين (٢/٤٥١) .

٤ - البخاري (٦٦٠) ، مسلم (٢٧٢) .

وتوجد عبادات قد حث الإسلام على أدائها مع الجماعات كالصلاة الفريضة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة » ^(١) .

أما العبادات التي يكثر المسلم من أدائها سرا :

* صلاة التطوع : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قضى أحدكم صلاته في المسجد فليجعل لبيته نصيباً من صلاته فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً » ^(٢) .

* صيام التطوع : لحديث النبي ﷺ عن رب العزة قال : « الصيام لي وأنا أجزي به » ^(٣) قال العلماء « وأنا أجزي به » : أى أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ويؤيدها قوله ﷺ « ليس في الصوم رياء » لأن الصوم إنما هو بالنية التي تخفى عن الناس ، وإن كان الرياء يدخله بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم ^(٤) .

١ - البخاري (٦٤٧) ، مسلم (٢٧٢) ، (٦٤٩) .

٢ - مسلم (٧٧٨) . ٣ - البخاري (١٨٩٤) .

٤ - فتح الباري (١٢٩/٤) .

* صدقة السر : ولقد بين النبي ﷺ أن من الذين يظلمهم الله يوم القيامة قال : «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها فلا تدرى شماله ما أنفقت يمينه» (١) .

* ذكر الله : قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢) . قال ابن كثير - رحمه الله - : أى اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً، وهذا المستحب من الذكر فلا يكون نداءً ولا جهراً بليغاً (٣) .

* ومن الأعمال التى يؤديها المسلم سرراً : أن يحسن المسلم إلى كل ذى حاجة : يعرفه أو لا يعرفه ابتغاء مرضاة الله ، فهذا ينمى الإخلاص فى النفس ، ويجعل العمل أرجى للقبول كما ينتفع المسلم بدعاء صادق بظهر الغيب ممن أحسن إليه . عن أم الدرداء - رضى الله عنها - عن النبي ﷺ قال : «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة...» (٤) .

١ - البخاري (٦٦٠)، ومسلم (٢٧٢) .

٢ - الأعراف (٢٠٥) .

٣ - تفسير ابن كثير (٢٨٨/٢) .

٤ - مسلم (٢٧٣٣) .

قال النووي : قوله ﷺ بظهر الغيب معناه : « في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص » (١) .

وعن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « من صنع إليه معروفاً فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ الشاء » (٢) .

قال العلماء : وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيراً ، كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة (٣) .

١٠ - كتمان الحسنات

إذا وفق الله المسلم لأداء الطاعة سرّاً وبإخلاص ، فإن الشيطان وهو لا يغفل عن المقبلين على العبادات لحظه ، فهو يريد أن يدفع المسلم إلى أن يرائى الناس بعمله ، ويدفعه إلى التحدث عن حسناته حتى يفسد ثواب عمله فيحبطه أو يضعف أجره . قال تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (٤) .

١ - صحيح مسلم بشرح النووي (٤٧/١٧) .

٢ - الترمذى (٢٠٣٦) وصححه الشيخ الألبانى (٦٣٦٨) .

٣ - شرح رياض الصالحين لابن العثيمين (١٢٠/٤) .

٤ - سورة النجم (٢٢) .

قال ابن جريج معناه : إذا عملت عملاً خيراً لا تقول عملت (١) .

وقال يعقوب المعكوف : المخلص يكتم حسناته كما يكتم سيئاته (٢) .

وقال الحسن : كان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة (٣) .

وقال سفيان بن عيينه : أصابتني ذات يوم رقعة فبكيت ، فقلت في نفسي لو كان بعض أصحابنا لرق معي ، ثم غفوت ، فأتاني آت في منامي فرفسنى وقال : يا سفيان خذ أجرك ممن أحببت أن يراك (٤) .

والمسلم الذي يثق في كمال إخلاصه في العمل لله يمكن أن يظهر طاعاته بنية الاقتداء وترغيب الناس في الخير، أو إذا كان في ذلك مصلحة دينية وهذا مختصر رأى علمائنا في ذلك (٥) .

١ - إحياء علوم الدين (٤/٤٤٨) .

٢ - إحياء علوم الدين (٢/٤٤٨) .

٣ - إحياء علوم الدين (٢/٣٩٨) .

٤ - صفة الصفوة (١/٤٢٦) .

٥ - راجع إحياء علوم الدين (٢/٣٩١) .

... ويحذر الحق - جل وعلا - من إظهار الطاعة للرباء أو المن والأذى فإن ذلك يبطل ثواب العمل ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ ﴾ (١) .

١١ - عدم العجب بكثرة الطاعات

العجب : استعظام المسلم طاعاته وعباداته ونسبها لنفسه ، لا لصاحب الفضل - جل وعلا - وهذا يتعارض مع الإخلاص لله .

والعجب آفة بشرية ، ينبغى على المسلم أن يجتهد فى التخلص منها بالاستعانة بالله وبأن يتدبر :

* أن الله - جل وعلا - هو الذى قدر وهدى ، وهو الذى صرف القلب إلى الطاعات ، وأعان البدن على أداء العبادات ، فكل عمل صالح يؤديه المسلم هو من الله ، وإليه وبمشيئته قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاوُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

١ - سورة البقرة (٢٦٤) .

٢ - سورة التكوين (٢٩) .

وقال ابن القيم رحمه الله - : فكل خير في العبد فهو مجرد فضل الله ومنته وإحسانه وهو المحمود عليه . فرؤية العبد لأعماله في الحقيقة كرؤيته لصفاته الخلقية من سمعه وبصره وإدراكه وقوته بل ومن سلامة أعضائه ونحو ذلك فالكل مجرد عطاء الله ونعمته وفضله^(١) .

* إن عبادة المسلم وطاعته لله لا تسلم من النقص والتقصير ، قال ابن القيم : قلَّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل ، وللنفس فيه حظ . قال ﷺ : عن التفات الرجل في صلاته؟ فقال : «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»^(٢) .

فإذا كان هذا التفاته طرفة أو لحظة فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله ؟ هذا أعظم نصيب للشيطان من العبودية^(٣) .

لذلك فإنه يستحب للمسلم أن يكثّر من الاستغفار بعد أدائه الصلاة وكذلك بعد أدائه كل عبادة أو طاعة .

١ - مدارج السالكين (٧٨/٢) .

٢ - البخاري (٧٥١١) .

٣ - مدارج السالكين (٧٩/٢) .

* إن عمل المسلم قد يخالطه شيء من الرياء دون أن يشعر ، فالرياء أخفى من دبيب النمل ، قال بعض الصالحين :
ومن لم يهتم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور^(١) .
فاللهم إنا نستغفرك من كل عمل قصدنا به وجهك فخالطه
غيرك .

والمسلم إذا استبشر بفضل الله عليه وبتوقيقه إلى أداء
العبادات بإخلاص فليس ذلك عجباً . قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ
اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(٢) .

١٢ - الخوف من عدم القبول

إن من علامات الإخلاص أن يؤدي المسلم العمل قاصداً
به وجه الله وحده مع شعوره بعد الفراغ من أداء العمل
بالخوف من عدم قبول الله لعمله قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾^(٣) .

١ - مدارج السالكين (٢/ ٨٠) .

٢ - سورة يونس (٥٨) .

٣ - سورة المؤمنون (٦٠) .

قال ﷺ : «هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل الله منهم»^(١).

وقال ابن كثير - رحمه الله - : وهكذا حكى عن حال المؤمنين الخلفاء ، فهم يعطون العطاء وهو خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشرط الإعطاء ، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط^(٢) .
ويعلمنا وحى القرآن الصادق من الأدب النبوى ومن دعاء الصديقين : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٣) .

قرأ بعض السلف هذه الآية ثم جعل يبكى ويقول : يا خليل الرحمن تبني بيت الرحمن وتشفق أن لا يتقبل منك^(٤) .
وقال صاحب الظلال : إنه الاتجاه إلى الله فى قنوت وخشوع لطلب القبول ، والرجاء فى القبول متعلق بأن الله سميع الدعاء عليم بما وراءه من النية والشعور^(٥) .

-
- ١ - الترمذى (٣٢٧-٣٢٨) والإمام أحمد (١٥٩/٦) وغيرهما من حديث عائشة - رضى الله عنها - .
 - ٢ - تفسير ابن كثير (١٧٥/٢-٢٥٦) .
 - ٣ - سورة البقرة (١٢٧) .
 - ٤ - تفسير ابن كثير (١٧٥/١) .
 - ٥ - فى ظلال القرآن (١١٤/١) .

وكان عابداً صالحاً يؤدي شعائر الحج ، فسمع يدعوا في عشية عرفة يقول : اللهم إن كنت لا تقبل حجي وتعبى ونصبى فلا تحرمنى الأجر على مصيبتى بتركك القبول منى^(١) .

قال الحسن البصرى - رحمه الله - : هم يأتون الإخلاص ويخافون أن لا يُقبل منهم، فلقد عملوا بالطاعات واجتهدوا وخافوا أن تُرد عليهم، إن المؤمن قد جمع إيماناً بالله وخشية منه^(٢) . وقال أيضاً : لقد أدركنا أقواماً كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها^(٣) .

الحسرة على فقد العمل وثوابه في الآخرة

لمن كانوا يعملون لغير الله في الدنيا

إن من كانوا يعملون لغير الله يتحسرون حين ينظرون في صحيفة عملهم أو إلى ميزان حسناتهم فلا يجدون عملاً ولا حسنة ولا ثواباً . قال تعالى : ﴿ وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾^(٤) . وقال ﷺ : «يقول الله - عز وجل - يوم القيامة إذا جازى الله العباد بأعمالهم :

٢ - تفسير الحسن البصري (١٥٠/٢) .

١ - صفة الصفوة (٤٥٩/١) .

٤ - سورة الفرقان (٢٣) .

٣ - الجامع لأحكام القرآن (١٣٩-١٢) .

أذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء»^(١).

السعادة والسرور في الآخرة لمن أخلصوا عملهم لله في الدنيا

إن عباد الله الذين أخلصوا عملهم في الدنيا ابتغاء مرضات الله ، يفرحون حين يجدون أن الله قد قبل أعمالهم وحفظها لهم في صحيفة عملهم وضاعف لهم ثوابهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾^(٢) . أى يضاعف لهم الأجر والثواب .
... إن من أخلص لله في أعماله قد أحسن اغتنام أيام حياته وأحسن الاستعداد لميعاده ... وهو قد حفظ عمله عند من لا تضيع الودائع عنده .

أسأل الله - جل وعلا - أن يرزقنى وإياكم بفضله الهداية والإخلاص والتوفيق والقبول .

والحمد لله رب العالمين

١ - الترغيب والترهيب (١٢/٣٤/١) من حديث محمود بن لبيد . وقال المنذري رواه الإمام أحمد بإسناد جيد والبيهقي وغيرهما .

٢ - سورة الزوم (٣٩) .

الفهرس

٣ المقدمة
٥ حقيقة الإخلاص
	العبادة الصحيحة والإخلاص لله فيها : الشرطان لقبول
٦ العمل
٧ كيف يتحقق الإخلاص في المسلم ؟
٧	١ - الاستعانة بالله
٨	٢ - أداء الأعمال
٩	٣ - استحضار النية قبل الإقدام على العمل
١٢	٤ - تفقد النية خلال أداء العمل
	٥ - الحرص على أداء كل عمل الباعث إليه نية صالحة وإن
١٣ كان عملاً صغيراً
	٦ - عدم قدرة المسلم على عمل الخير لا يهدر ثوابه على
١٤ نيته الصالحة

الفهرس

- ١٥ ٧ - إتقان العمل طاعة لله وابتغاء لمرضاته
- ١٦ ٨ - عدم التطلع إلى أخذ الجزاء من العباد
- ١٧ ملحوظة : حكم العمل إذا خالطه شئ من الرياء
- ملحوظة : المسلم إذا عمل عملاً لله قد يأخذ عليه ثواباً من
- ١٨ الله في الدنيا والآخرة
- ١٩ ٩ - الإكثار من أداء العبادات والطاعات في السر
- ٢٣ ١٠ - كتمان الحسنات
- ٢٥ ١١ - عدم العجب بكثرة الطاعات
- ٢٧ ١٢ - الخوف من عدم القبول
- الحسرة على فقد العمل وثوابه في الآخرة لمن كانوا يعملون
- ٢٩ لغير الله في الدنيا
- ٣٠ السعادة والسرور في الآخرة لمن أخلصوا عملهم لله في الدنيا
- ٣١ محتوى الكتيب